مخطوطة شعر الأخرس

شاعر العراق في القرن التاسع عشر

تحقيق الدكتور يوسف عزالدين ، ومن منشورات دار البصري ببغداد سنة ١٩٦٣ ، طبعت بمطبعة العاني في ٦٤ صفحة من قطع الثمن الكبير ، ومن الورق الأبيض الصقيل ، مقابلة ومعارضة ، وفيها نماذج مصورة من المخطوطة .

هذه المجموعة الشعرية المنشورة أول مرة هي الكتاب الثامن من تآليف الأستاذ الدكتور الأديب المحقق يوسف عزالدين وتحقيقاته ، وكنا على يأس من وجدان شيء غير منشور من شعر الشاعر العراقي المشهور عبد الغفار الأخرس ، فأتحفنا الدكتور الأديب بهذه المجموعة من شعر الشاعر المذكور ، ذاكراً أنه عثر عليها في خزانة كتب المحقق الراحل المعروف يعقوب نعوم السركيسي ، وقدم لها ناشرها الفاضل بتقدمة أبان فيها أنه أشار إلى هذه المخطوطة في كتابه « الشعر العراقي في القرن التاسع عشر » وأنه درسها لتحقيق عزوها إلى الأخرس الشاعر فانتهت دراسته إلى صحة ذلك بأدلة وخصوصاً المقابلة بين ما ورد فيها من الشعر وما ورد من شعر الشاعر غير المنشور في مخطوطات أخرى .

ومما جاء في تقدمة الدكتور الناشر قوله : « لم يكن الأخرس يعني كثيراً بشعره في إبان حياته ، وهو من الشعراء المكثرين شأن شعراء المدح الذين يعتمدون على شعرهم [1] على ما تجود به أكف الممدوحين من نوال ، ولم يكن الأخرس من أولئك الذين يكترثون بجمع شعرهم وإنما كان ينظم القصيدة ويتركها دون أن يلم شتات شعره .. » .

ولعلي أستطيع أن أضيف سبباً آخر إلى أسباب قلة احتفال الشاعر بشعر نفسه هو

(١) كذا ورد ولعل فيه سبق قلم وأصله « يعتمدون في شعرهم على ما تجود به أكف الممدوحين » .

التواضع الأدبي . هذا وإن والشعر البالغ ذروة الصنعة الأدبية ، يشبه الشعر المطبوع لأن الغرام بالفن يستمد من الملكة والطبع معاً ، وقد ثبت أنّ صدق الشعور وحده لا يكفي في إثبات روعة الأدب ، وثبت كذلك في الفنون على اختلافها أن التقليد فيها يبلغ أحياناً مرتبة المقلَّد فلا يمكن التميز بينهما إلا بشيء غير فني ، وإننا لنجد كثيراً من الرثاء المأجور والرثاء المقترح والغزل المصنوع « المتكلف » يفوق الصادق منها [1] . وشعر الأخرس من الشعر البالغ ذروة الصنعة الأدبية في النظم

وهذه المجموعة تحوي ثماني عشرة قصيدة ومقطوعة وقد سقط جزء منهـا ، كما قال المحقق الفاضل ، وقـد أكمل القصيدة الثامنة من مخطوطات أخرى ، ثم قال : « والملاحظ أن الأخرس مدح في هذه المخطوطة إبراهيم البصريّ وبندراً السعدون وفهدا السعدون ومنيب باشـا متصرف البصرة وعبد الرحمن نقيب البصرة وعبد القادر رئيس كتابها وعبد الله الزهير وسليمان الزهير وعبد الرحمن شريف وأحمد نور ، وهجا عبـد الله الفداغ ومفتي البصرة وقد ورد ذكر أكثر هذه الأسماء في ديوانه المطبوع » .

وقد ختم التقديم بكلام قويم قال فيه : « وأزفّ هذه المخطوطة لعشاق أدب الأخرس وطلاب الأدب الذين يعرفون معنى الأدب والبحث العلمي الدقيق ، وأرجو أن أساعد في جمع شعر الأخرس لطبعه مرة في ضمن كتاب واحد » .

وقد نشر المحقق هذه القصائد والمقطعات نشراً مصححاً منقحاً لائقاً بمثل هذا الشعر النفيس غير المـذكور في « الطراز الأنفس في شعر الأخرس » ، فسـعيه الأدبي مشكور وفضله التحقيقيّ غير منكور ما قرأ أديب هذا الشعر .

والظاهر أن في النسخة تصحيفات كثيرة لا يزال أثرها ظاهراً في أبيات من المجموعة

(٢) من مقالة لي في « الأدب العراقي في العصر المغولي » نشر في هذه المجلة « مج ٣ ج ٢ ص ٣١٠ سنة ١٩٥٥ » .

كما جاء في الصفحة ٢٢ » :

إنه للفرد في أقرانه   كان والمجد تليد التوءما

فلعل الأصل « كان للمجد التليد التوءما » ، وكما جاء في الصفحة ٣٤ :

وما نزلوا غير شم الرعاق   يهدى لها المنجد والمغورُ

ولعل الأصل : وما نزلوا غير شمّ الرعان   يهدى لها المنجد المغـورُ

وجاء تعليق « كذا في الأصل » على ما لا يستوجب التعليق كقوله في الصفحة ٤٢ :

واليد الطولى له من قبلها   أخذت من كل آبٍ بزمام

فآبٍ اسم فاعل من « أبى يأبى » . وورد ما يشبه ذلك في الصفحة ٢٩ .

وغلط الطبع قليل جداً ، وهذا هو مع إصلاحه « ص ٢١ المأتم : المأثم » . « ص ٢٩ نظير لكم في عصرها المتقادم : نظيراً ... » . « ص ٣٠ يصرع بالزق ويدمي نحوه : نحره » « ص ٣١ لا تشيم البرق منه خلّباً : لا نشيم » . « ص ٣٣ وقلت إذا عوره تستتر : عورة » . « ص ٣٨ أضاء بك الأيام لي وتبلجت : أضاءت » . « ص ٤٠ تجرد من يوري بها من وقاره : مَن يُروي » . « ص ٤٤ فلا زلت في زرق الأسنة تحتمي : الأسنة » . « ص ٤٩ عقدت على الصفاف بها إزارك : العفاف » . « ص ٥٦ ياصاحبي والخليل مسمداً : مسعد » . « ص ٥٩ كما أن جدوى كفه يورث الغنى : تورث » . « ص ٦٠ أو هدي ثنائي ما استطعت لمجده : وأهدي » . «ص ٤٠ أقربه عينا وشرح خاطراً : وأشرح » . « ص ٣٨ صفا لي منك الجود عذب غديره : عذباً غديره » .

هذا وإنا لنرجو من الدكتور يوسف عزالدين أن يوالي نشر هذا الأدب الرفيع مستخرجاً له من مظانه ، التي يعسر الوصول اليها ويصعب الوقوف عليها ، ونكرّر له الشكر وإحسان الذكر على هذه الطرفة الأدبية والتحفة الشعرية .

مصطفى جواد